كانا فيه "على أدقّ وأيقظ مايكونان في إنسانٍ"[٢٠٣]، هما : "الذوق الجمالي" و"تداعي الخواطر" أو مايسمّيه الناقد في موضعٍ آخر "ملكة تداعي الفكر"[٢٠٤].

فالشاعر حين يكون هادئ الشعور، متّزن المزاج، تشي صوره بيقظةٍ حسيّةٍ وشعوريةٍ وذوقٍ جماليٍّ رفيعٍ، مثال ذلك، وصفه لذوائب الكتان وهي تتماوج مع الرّيح، كأنها غدير ماءٍ؛ فهذه صورةٌ شعريّةٌ جميلةٌ لمنظرٍ طبيعيّ جميلٍ، يدلّ على "نفسٍ مطبوعةٍ على ذوق الجمال، تفرح وتتهلّل للمناظر الجميلة..

ويصاحب الفرح الإقبال والاستبشار والرّغبة..."[٢٠٥].

وهو على العكس من ذلك، حين ينقلب مزاجه وتشتدّ عليه طيرته، ترى المسافة قريبة من حالته المرضية (الطّيرة) وحالته النفسية؛ فصورة الأحدب وهو مستوفزٌ تارةً لأن يُصفع ومتجمّعٌ تارةً أخرى، صورةٌ جميلةٌ لرجلٍ مهين الخلقة زريّ المنظر". تعكس أيضاً ذوقاً جماليّاً رفيعاً، وهي على جمالها الفنّي تترجم حالةً نفسيّةً متوترة مناقضةً للأولى، هي حالة الانقباض والنّفور من المناظر الدّميمة الشائعة "ويصاحب النفور الحزن والإنكار والتشاؤم والكراهة، وليس أقرب من المسافة بين النّفور والطيرة، إذا دقّ الحسّ وغلب عليه الحذر وأصبح الانقباض عنده نذيراً يثنيه ويقتضب عليه طريق أمله".[٢٠٦]

أمّا الرّافد الثاني لطيرته، فهو "تداعي الخواطر" الذي يلاحظ في جميع صوره الشعرية، وهو لا يخرج أيضاً عن هذه الطبيعة المتّسمة بالحذر، والمزاج المركّب، والتشاؤم[٢٠٧]. وهذا التّداعي في صور ابن الرومي على ضربين: ضرب معنوي، وأخر لفظي.

فالتّداعي المعنوي، يلاحظه العقاد، في تداني خواطر الشاعر وتنائيها، وفي تسلسل معانيه وتشعّبها حتّى تدقّ وتستنفد، فقد يبلغ منه توتّره الشعوري واضطرابه النفسي، أن تراه يجمع بين الخواطر المشتّتة، والمعاني المتباعدة

---

[٢٠٣] العقاد، عباس، ابن الرومي حياته من شعره، ص : ١٧٣.
[٢٠٤] العقاد، عباس مراجعات في الآداب والفنون، ص: ١٥١.
[٢٠٥] العقاد، عباس، ابن الرومي حياته من شعره، ص :١٧٢- ١٧٣.
[٢٠٦] العقاد، عباس، ابن الرومي حياته من شعره، ص :١٧٢- ١٧٣.
[٢٠٧] العقاد، عباس، ابن الرومي حياته من شعره، ص : - ١٧٣.